

The Phenomenon of Synonymy and its Influence on Semantic Relations: A Study of the Book Tuhfat al-Muhtaj by Ibn Hajar al-Haytami.

Asst. Prof. Abdul Hussein Musa Wadi (Ph.D)

Shaima Hazem Muhammad Jarallah

University of Baghdad - College of Arts

University of Baghdad - College of Arts

abdulhesien@coart.uobaghdad.edu.iqsmiss8487@gmail.comDOI: <https://doi.org/10.31973/aj.v2i146.4343>

Abstract:

Synonymy has a significant role in language as it is concerned with the relationship between words and meanings used by people to communicate. Despite the non-existence of this phenomenon in the past and modern times, there are many supporters for its existence. This research aims to shed light on the phenomenon of synonymy in Tuhfat al-Muhtaj for Ibn Hajar Al-Haytami. He proved that there are several synonymous words such as (praise and thanks). The research identifies the justification for the existence of this phenomenon in Arabic. The research has concluded that there are synonymous words in this masterpiece book. The research adopted the analytical - inductive approach.

Keywords: Synonymy, semantic relations, Ibn Hajar Al-Haytami.

ظَاهِرَةُ التَّرَادُفِ وَأَثَرُهَا فِي تَوْجِيهِ الْعَلَاqَاتِ الدَّلَالِيَّةِ

دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ فِي كِتَابِ تُحْفَةِ الْمُحْتَاجِ لِابْنِ حَجَرِ الْهَيْتَمِيِّ

الباحثة: شيماء حازم محمد جار الله أ.م.د. عبد الحسين موسى وادي

جامعة بغداد - كلية الآداب

جامعة بغداد - كلية الآداب

قسم اللغة العربية

قسم اللغة العربية

(مُلخَصُ البَحْثِ)

للترادف أهمية بالغة؛ كونه يهتم بالعلاقة بين الألفاظ والمعاني لقصد التواصل بين الناس، فعلى الرغم من وجود المنكرين لوجوده قديماً وحديثاً إلا أننا نجد المؤيدين كذلك؛ لذا يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة الترادف في كتاب تحفة المحتاج بشرح المنهاج، إذ أثبت الهيتمي عدة ألفاظ مترادفة مثل: (الحمد والثناء) على الرغم من التفريق بينهما لدى غيره، كما تضمن البحث: أسباب وجود هذه الظاهرة في العربية، وخلص إلى: وجود ألفاظ مترادفة في كتاب التُّحفة، أما المنهج المعتمد في البحث: فهو المنهج التحليلي - الاستقرائي.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة الترادف، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، العلاقات الدلالية.

المقدمة:

الحمد لله وسلاماً على عباده الذين اصطفى، وصلى الله على سيدنا محمد النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه المستكملين الشرفاً.
أمّا بعد، فقد خصّ الله -تعالى- اللغة العربية بأن جعلها لغة القرآن الكريم، وبها نطق خاتم الأنبياء والمرسلين.

جاء هذا البحث بعنوان (ظاهرة الترادف وأثرها في توجيه العلاقات الدلالية - دراسة تطبيقيّة في كتاب تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي)، نظراً لأهمية كتاب التحفة وما فيه من قضايا متعددة، وكذلك لما للترادف من أهمية في لغتنا العربية، تضمن البحث ما جاء في الكتاب من ترادف، وانتهجت فيه المنهج الاستقرائي - التحليلي، حيث أنني استخرجت الألفاظ المترادفة التي وردت في التحفة ثمّ قمت بتحليلها لغويًا وفقهيًا، وقبل الشروع بذلك بدأت بتعريف هذه الظاهرة لغة واصطلاحًا، وذكرت آراء المؤيدين والمعارضين لها، والأسباب التي أدت إلى ظهورها، ثمّ ذكرت في الخاتمة ما توصلت إليه من النتائج.

مفهوم الترادف لغة : تعدّ ظاهرة الترادف من الظواهر اللغوية المهمّة؛ لعلاقة الألفاظ بالمعاني أثر للتواصل بين الناس، وإنّ معنى الترادف عند أصحاب المعاجم العربية القديمة لا يخرج عن معنى التتابع، فقال الفراهيدي: "ما تبع شيئاً فهو ردّفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف... ويقال: جاء القوم ردّافى، أي: بعضهم يتبع بعضاً" (الفراهيدي، ٢٢/٨ - ٢٣)، نحو قوله تعالى: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرّادِفَةُ).

وقال بذلك الجوهري (الجوهري، ١٩٩٠، ٤/١٣٦٣، ١٣٦٤)، وغيره من أهل اللغة الذين اتفقوا على دلالة أصله (ابن زكريا، ٢، ١٩٧٩/٥٠٣، ٥٠٤). أمّا في الاصطلاح: فقد عرّفه سيبويه، بقوله: هو "اختلاف اللفظتين والمعنى واحد، نحو: ذهب وانطلق" (سيبويه، ٢٠٠٤، ٢٤)، فيطلق على الشيء الواحد أسماء مختلفة، فعندما تبحث عن أصل كلّ اسم منها، فتجده يرجع إلى معنى واحد، نحو: السيف والصّارم، والمهند، والحسام (بن جني، ٤٧٤، ٢٠١٩) (اللغوي، ٩٧، ١٩٩٣)، وعرّفه مجد الدّين ابن الأثير، بقوله: هي الأسماء "المختلفة الدّالة على معنى يندرج تحت حقيقة واحدة، كالخمر والرّاح والعقار فإنّ المسمّى بهذه الأسماء هو: المائع المسكر المعتصر من العنب" (ابن الأثير، ٢٩٠، ١٩٩١) (فاضل، ١٧٣، ٢٠٢٠).

أمّا التعريف الجامع لمصطلح الترادف، فنجدّه عند السيوطي نقلاً عن الإمام فخر الدّين قوله: "هو الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد، قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحدّ، فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسي والصّارم، فإنهما دلا على شيء واحد، لكن باعتبارين: أحدهما على الذات، والآخر على الصّفة" (السيوطي،

ومن خلال هذه التعريفات التي ذكرت آنفاً، اللغوية والاصطلاحية يتضح لنا: أن هناك علاقة وطيدة بين المفهوم اللغوي والاصطلاح، ذلك بأن ركوب أحد خلف الآخر قد قيل له: (الترادف في اللغة)، ثم نُقلت فيما بعد من معناها الحقيقي إلى تلك المعاني المجازية المتعددة تعدد كلمات التي تدلّ على مدلول واحد، فإنّ الكلمات قد تترادف على المعنى الواحد أو المسمّى الواحد، كما يترادف الرّكبان على الدّابة الواحدة، وعلى هذا فالعلاقة في هذا الاستعمال المجازي: هي المُشابهة (الزيادي، ٢٢، ١٩٨٠، ٢٣).

ظاهرة الترادف بين الإثبات والإنكار:

اختلف أهل اللغة في وقوع الترادف في العربية اختلافاً واسعاً في إثبات هذه الظاهرة أو إنكارها؛ لوجودها في العربية، وأول إشارات لوجود هذه الظاهرة في التراث العربي المكتوب ما ذكره سيبويه في (هذا باب اللفظ للمعاني)، بقوله: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين" (سيبويه، ٢٠٠٤، ٢٤)، وذكره ابن جني في "باب في تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني" (بن جني، ٢٠١٩، ٤٧٤)، وذكره ابن فارس: في (باب الأسماء كيف تقع على المسميات)، فقال: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: السيف والمهتد والحسام" (اللغوي، ١٩٩٣، ٩٧).

وأنكر جماعة من اللغويين وقوع الترادف في اللغة، قال ابن الأنباري: "قال أبو العباس عن ابن الأعرابي: كلّ حرفين أوقتهما العرب على معنى واحد في كلّ واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربّما عرفناه فأخبرنا به، وربّما غمض علينا فلم نُلزم العرب جهله" (ابن الأنباري، ١٦)، وتابعه في ذلك تلميذه ثعلب، فرأى: "أنّ كلّ ما يُظنّ من المترادفات، فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات، كما في الإنسان والبشر، فإنّ الأوّل: موضوع له باعتبار النسيان أو باعتبار أنّه يؤنس، والثّاني: أنّه بادي البشارة" (السيوطي، ١٩٨٦، ٤٠٣) (اللغوي، ١٩٩٣، ٩٨).

ظهرت عدد من الأسباب التي دعت إلى نشأة الترادف في العربية، منها: الاختلاف بين اللهجات، فتضع إحدى القبيلتين اسماً لشيء معين، وتضع قبيلة أخرى لذات الشيء اسماً آخر (السيوطي، ١٩٨٦، ٤٠٥)، أو قد ينشأ الترادف بين الكلمات من خلال فقدان بعض الصفات عنصر الوصفية (الصفات الغالبة)، فتصبح الصفات أسماءً، وعند بحث البعض من الكتاب أو الشعراء يغفلون أنّها في الأصل صفات، كما هو الحال في الأسماء التي أطلقت على السيف أو العسل أو الخيل، فهذه الأسماء التي أطلقت هي في الأصل صفات (انيس، ١٩٩٢، ١٨٢) (فاضل، ٢٠٢٠، ١٧٥).

وكذلك من أسباب نشوء الترادف في العربية: "استعارة كلمات من لهجة من اللهجات، أو من لغة من اللغات، بسبب الغزو، أو الهجرات، أو الاحتكاك بين القبائل، فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة، وفي هذه الحالة لا تتساوى نسبة الكلمتين في الشبوع، بل ينظر عادة إلى الكلمة المستعارة نظرة أرقى وأسمى في الاستعمال، وذلك؛ لأنها انحدرت من قوم أرقى في الناحية الاجتماعية أو السياسية، أو لأنها أخف على السمع وألطف في الجرس" (انيس، ١٨٢، ١٩٩٢)، وغيرها من الأسباب...

الألفاظ المترادفة في كتاب: تحفة المحتاج

من الألفاظ المترادفة التي وردت في كتاب تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر

الهيتمي:

• الحمد والمدح:

إنَّ الحاء والميم والدال أصل واحد يدل على خلاف الذم، كما يقول ابن فارس (ابن زكريا، ١٠٠، ١٩٧٩)، فالرجل إن كثرت خصاله الحمودة يقال له: محمّد ومحمود، كما وقد روي قول للأعشى يمدح به النعمان بن المنذر والي الحيرة: بأنّه الجواد المحمّد؛ دليل على كثرة خصاله الحمودة، قال (الأعشى، ١٨٩):

إليك أبيت اللعن كان كلالها
إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد

وقد ورد في كتاب: تحفة المحتاج بشرح المنهاج، إنَّ الحمد والمدح لفظان مترادفان، قال ابن حجر الهيتمي: "(الحمد) الذي هو لغة الوصف بالجميل، وعرفاً: فعل يُنبئ عن تعظيم المنعم لإنعامه... قيل: ويرادفه المدح ورُجِحَ، واعتُرض وقيل بينهما فرق، وفي تحقيقه أقوال" (الهيتمي، ١٦٢، ٢٠٢٢).

أي: أن ابن حجر الهيتمي قال بترادف هاتين اللفظتين، أي: الحمد والمدح، وهو أمر غريب!؛ لأنَّ الحمد شيء، والمدح شيء آخر، فقد فرّق بينهما أصحاب المعجمات، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "المَدْح: نقيض الهجاء، وهو حُسن التَّناء... والحَمْدُ: نقيض الذَّم... (الفراهيدي، ١٨٨).

وفرق أبو هلال العسكري بينهما أيضاً، بقوله: "إنَّ الحمد لا يكون إلا على إحسان، والله حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه، فالحمد مضمّن بالفعل، والمدح يكون بالفعل والصفة، وذلك مثل: أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه وإلى غيره، وأن يمدحه بحسن الوجه، وطول قامته، ويمدحه بصفات التَّعظيم من نحو: قادر، وعالم، وحكيم، ولا يجوز أن يحمده على ذلك، وإنما يحمده على إحسان وقع منه فقط" (العسكري، ٦٢، ٢٠١٨). نقل الهيتمي في التُّحفة تعريف الحمد لغة عن السيّد الشريف الجرجاني، فقال: "هو الوصف بالجميل على جهة التَّعظيم والتَّبجيل باللسان وحده" (الجرجاني، ٩٧، ٢٠١٣).

وبمثل ذلك قال الشيخ محمد جعفر الكرباسي في الفرق بين هاتين اللفظتين (الكرباسي، ١٠٣، ٢٠٠٩) ومما تقدم يتبين أنّ اللفظتين أختان من ناحية الاشتقاق، وليس بينهما ترادف (فاضل، ١٨٢، ٢٠٢٠)، فالحمد أخص من المدح، قال الرّاعب الأصفهاني: "الحمد لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخص من المدح... فإنّ المدح يُقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يكون منه وفيه بالتسخير، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأوّل" (الاصفهاني، ٢١٣، ٢٠٢١)

والذي نستخلصه من ذلك: أنّ لفظ (المدح) لا يرادف لفظ (الحمد)، كما أجمع أصحاب المعجمات، ومن صنّف في الفروق اللغويّة، ويبدو أنّ ابن حجر وإن صرح بترادف هاتين اللفظتين إلاّ أنّه لم يكن مقتنعاً بالقول بترادفهما، والقرينة في ذلك هو قوله: (قيل): "ويستفاد من هذه الصيغة ضعف مدلولها سواء كان بحثاً أو جواباً، فهي صيغة ترميض، وتقال لما فيه اختلاف وضعف ما قالوه" (الكاف، ٦٤، ١٩٩٧).

وقال صاحب الكشاف: "الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها، تقول: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته" (الزمخشري، ٢٧، ٢٠٠٩)

• اللَّعِبُ وَالْهَزْلُ:

عرّف ابن فارس اللَّعِبَ بقوله: "اللّام والعين والباء كلمتان منهما يتفرّع كلمات، إحداهما: اللَّعِبُ معروف... والكلمة الأخرى: اللَّعَاب: ما يسيل من فم الصّبي... وقيل: إنّ أصل الباب: هو الذّهاب على غير استقامة" (زكريا، ٢٥٣، ١٩٧٩-٢٥٤) بين أبو هلال العسكري الفرق بين اللَّعِبِ والهزل: وذكر أنّ كلّ لهوٍ لعبٌ، وليس كلّ لعبٍ لهوًا؛ لأنّ اللَّعِبَ يكون للتأديب، فيعقبه نفعًا، أمّا الهزل: فيقتضي تواضع الهازل لمن يهزل بين يديه، فيقال لمن يسخر: يهزل (العسكري، ٢٨٤، ٢٠١٨-٢٨٥)

ورد ترادف بين لفظتي اللَّعِبِ والهزل عند أهل اللغة، فقال الرّمخسري: "الهزل واللّعب من وادي الاضطراب والخفة، كما أنّ الجدّ من وادي الرّزانة والثّماسك" (الزمخشري، ١٠٤). ذكر ابن منظور: أنّ اللَّعِبَ ضدّ الجدّ، ويطلق على كلّ عملٍ لا يجدي منه نفعًا، نحو قولك: إنّما أنت لآعبٌ، وسمي اضطراب الموج لعبًا؛ لأنّه لم يسر بهم إلى الوجه المقصود (لسان العرب، ٧٣٩) فاللّعب: فعلٌ يخلو من الحكمة، والمقصد الصّحيح. وقد ذكر اللَّعِبَ في القرآن الكريم، ومن شواهد، قوله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (سورة

الأنعام). قال الإمام النووي: "وَلَوْ خَاطَبَهَا بِطَّلَاقٍ هَازِلًا أَوْ لَاعِبًا... (النووي ، ٤١٥، ٢٠٠٥).

وعَلَّقَ الشَّارِحُ فِي التُّحْفَةِ عَلَى الْهَزْلِ وَاللَّعِبِ، فَقَالَ: "هَازِلًا أَوْ لَاعِبًا) بَأَنَّ قَصْدَ اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَى... وَقَعَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِجْمَاعًا، وَلِلْخَبْرِ الصَّحِيحِ: (ثَلَاثُ جِدْهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلَاقُ، وَالنِّكَاحُ، وَالرَّجْعَةُ)... وَلِكُونَ اللَّعِبِ أَعَمَّ مَطْلَقًا مِنَ الْهَزْلِ عَرَفًا، إِذِ الْهَزْلُ يَخْتَصُّ بِالْكَلَامِ... عَطْفَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ رَادَفَهُ لُغَةً، كَذَا قَالَهُ شَارِحٌ، وَجَعَلَ غَيْرُهُ بَيْنَهُمَا تَغَايِيرًا فَفَسَّرَ الْهَزْلَ: بَأَنَّ يَقْصِدُ اللَّفْظَ دُونَ الْمَعْنَى، وَاللَّعِبَ: بَأَنَّ لَا يَقْصِدُ شَيْئًا... وَمَنْ تَمَّ قَالُوا: لَوْ قَالَ لَهَا: أَنْتِ طَالِقٌ، وَقَصَدَ لَفْظَ الطَّلَاقِ دُونَ مَعْنَاهُ، كَمَا فِي حَالِ الْهَزْلِ... وَقَعَ، وَلَمْ يُدَيِّنْ فِي قَوْلِهِ: مَا قَصَدْتُ الْمَعْنَى" (الهيتمي، ٦١، ٢٠٢٢-٦٢).

وقد وَضَّحَ الْخَطِيبُ الشَّرِبِينِيُّ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْقَصْدِ ، بِقَوْلِهِ: " (ولو خاطبها بالطلاق) لها (هَازِلًا): وهو قصد اللفظ دون معناه، (أو لَاعِبًا): بَأَنَّ لَمْ يَقْصِدْ شَيْئًا لِقَوْلِهَا لَهُ فِي مَعْرَضِ دَلَالٍ أَوْ مَلَاعِبَةٍ أَوْ اسْتِهْزَاءٍ: طَلَقْنِي، فَيَقُولُ لَهَا لَاعِبًا أَوْ مَسْتِهْزَأًا: طَلَقْتِك" (الشربيني، ٣٨٠، ١٩٩٧). وَأَكَّدَ الْإِمَامُ الْفَقِيهَ اللَّغَوِيَّ أَبِي الْبَقَاءِ الدَّمِيرِيَّ: بَأَنَّ "الْهَزْلَ وَاللَّعِبَ فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ وَاللُّغَوِيِّينَ كَالْمُرَادِفِ" (الدميري، ٥٠١، ٢٠٠٤).

وفي هَذَا الصَّدَدِ نَقَلَ السِّيُوطِيُّ عَنِ الزُّرْكَشِيِّ قَوْلَهُ: "عَطْفُهُ (اللَّعِبِ) عَلَى (الْهَزْلِ) يَقْتَضِي تَغَايِيرَهُمَا، وَكَلَامُ أَهْلِ اللُّغَةِ يَقْتَضِي تَرَادُفَهُمَا... وَلِهَذَا عَطْفُهُ فِي (الْمَحَرَّرِ) (القزويني، ١٠٩٦، ٢٠١٣) بِالْوَاوِ، مِنْ بَابِ عَطْفِ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ. يَعْنِي: فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ خِصَائِصِ الْوَاوِ" (السِّيُوطِيُّ، ٣٥٢، ٢٠٢٠).

وقد جعل أبو عثمان الجاحظ لفظة (الهِزْل) من الألفاظ التي تدلّ على عدم الجدّة في التّعامل، أو عدم المصادقّة في القول، أو من الألفاظ التي تدلّ على الضّحك وغيرها من الألفاظ التي قد ترادف لفظة اللّعب، فقد ذكرها في أكثر من موضع في مصنّفاته، وكما قد صنّف كتابًا يحمل ذكر هذه اللفظة، فقد صنّف كتاب (فلسفة الجدّ والهزل)، فنراه يقابل أو يعاكس بين هاتين اللفظتين، وكذلك ذكر هذه اللفظة في كتابه (البخلاء) فيجعلها تدلّ على النّكتة أو حيل لصوص النّهار على حدّ تعبيره، وهو بهذه اللفظة يجعلها ترادف لفظة اللّعب. استعمل الفقهاء ومن بينهم ابن حجر الهيتمي: لفظتي اللّعب والهزل في باب الطّلاق، وقالوا: إنّ بينهما ترادف، لما فيهما من خلو المنفعة والجدوى، ولتضمّنه معنى الغفلة، نحو قوله تعالى: (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (سورة الاعراف، ٥١).

● المهر والصدّاق:

وردت لفظة الصّدّاق مرادفة للمهر عند ابن حجر الهيتمي، فقال: (الصّدّاق): هو بفتح الصّاد ويجوز كسرهما، وجمعه قلّة: أصدقة، وكثرة: صدق، ويُقال: صدقة بفتح فتثييث، وبضمّ أو فتح فسكونٍ وبضمّهما، وجمعه: صدقات... وما وجب بعقد نكاح - ويأتي: أنّ الفرض في التّفويض وإن كان الوجوبُ به مبتدأ... وهذا خلاف الغالب: أنّ المعنى الشرعيّ أخصّ من اللّغويّ، إذ هو مشتقّ من (الصدق)؛ لإشعاره بصدق رغبة باذله في النّكاح الذي هو الأصل في إيجابه، ويرادفه المهرُ على الأصحّ" (الهيتمي، ٧٧٢، ٢٠٢٢).

ما ذكره الهيتمي من دلالة الصّدّاق وتعريفه لغة وشرعاً، وترادفه مع المهر، قد سبقه إليه أصحاب المعجمات اللّغويّة والفقهية، قال الجوهري: "الصّدّاق والصّدّاق: مهر المرأة... وقد أصدقت المرأة، إذا سميت لها صدّاقاً" (الجوهري، ١٥٠٦، ١٩٩٠).

وأصل اللّفظه مشتقة من الصدق، وهو القوّة والصّلابة، ومنه سمي ما يعطى للمرأة عند عقد النّكاح صدّاقاً؛ لقوته، ولأنّه يُعبّر عن صدق الرجل قولاً وغيره في طلبه للمرأة، ويأتي بمعنى اللّزوم؛ لأنّه حقّ يلزم (ابن زكريا، ٣٣٩) (قلعة جي، ٢٤٣)، نحو قوله تعالى: (وأتوا النّساء صدقاتهنّ نحلةً) (سورة النساء، ٤)، قال الطبري: "اعطوا النّساء مهرهنّ عطيةً واجبةً، وفريضةً لازمةً" (الطبري، ٣٩٢، ١٩٩٤).

وأورد النّووي ستّة أسماء مترادفة للفظه (الصّدّاق)، فضلاً عن ذكر لغاتها، فقال: "اسمٌ لما تستحقّه المرأة بعقد النّكاح، قيل: إنّه مشتقّ من الصدق بفتح الصّاد وإسكان الدّال، وهو الشّيء الصّلب، فكأنّه أشدّ الأعراض لُزوماً من حيث أنّه لا ينفك عن النّكاح، ولا يُستباح بضع المنكوحه إلّا به، وفيه لغات: صدّاق وصدّاق بفتح الصّاد وكسرهما، وصدقة بفتح الصّاد وضمّ الدّال، وصدقة بضمّهما، وله ستّة أسماءٍ أحر: المهر، والفريضة، والنّحلة والأجر، والعليقة، والعقر بضمّ العين، والله أعلم" (النّووي، ١٤٧) (عبدالمنعم، ٣٦٠). وقد وردت دلالة المهر بمعنى الصّدّاق عند الصّعديّ مثلاً، فقال: "المهر: ما يُستحلّ به الحرائر من النّساء" (الصّعدي، ٣٤١، ١٩٢٩) (عبدالمنعم، ٣٦٠). فقد اقتضت لفظة المهر على المعنى الحقيقيّ وهو: صدّاق الزوج (الصّعدي، ٣٤١، ١٩٢٩).

من ذلك تبين: أنّ لفظة المهر المرادفة للصّدّاق فيها زيادة دلالية مجازية تعطي معنى جديداً مقابلاً للدّالة الحقيقيّة، نحو ما قاله الزمخشري: "ومن المجاز: رجلٌ ذو مَصْدَقٍ في القتال، وفرسٌ ذو مَصْدَقٍ في الجري... دلائله، جمع مصداق، ونجم صادق: لم يخلف... فلانة امرأة صدقة" (الزمخشري، ٣٥١، ١٩٧٩).

● اليمين والإيلاء والقسم:

من المعلوم أنّ اليمين صيغة تتضمّن القسم بالله تعالى؛ تأكيداً على صدق الإخبار بوقوع شيء أو عدم وقوعه، أو على العزم على ترك شيء أو فعله، ولا ينعقد إلا بصيغة القسم بالله أو ما يُرادفها من الكلمات، قال الإمام شرف الدين النووي: "الأيمان لا تتعقد إلا بذات الله تعالى أو صفة له، كقوله: (والله)، (ورب العالمين)، (والحي الذي لا يموت)، (ومن نفسي بيده)، وكل اسم مختص به سبحانه وتعالى، ولا يقبل قوله: (لم أرد به اليمين)" (النووي، ٥٤٤، ٢٠٠٥).

وقد وردت لفظة (اليمين) مرادفة للحلف والإيلاء عند ابن حجر الهيتمي، فضلاً عن تعريفه لليمين لغة وشرعاً، فقال: "(الأيمان) بالفتح جمع (يمين)؛ لأنهم كانوا يضعون أيمنهم بعضها ببعض عند الحلف. وأصل اليمين: القوة، فلتنقية الحلف الحث على الوجود أو العدم سمي يميناً، ويُرادف الإيلاء والقسم، وهي شرعاً بالنظر لوجوب تكفيرها: تحقيق أمرٍ مُحتمل بما يأتي، وتسمية الحلف بنحو الطلاق يميناً شرعيةً التي اقتضاها كلام الرافعي ... غير بعيد وإن نُوزع فيه، ويُؤيدّه: تصريحهم بمرادفة الإيلاء لليمين مع تصريحهم بأن الإيلاء لا يختص بالحلف بالله" (الهيتمي، ١٠، ٢٠٢٢). يُعرف اليمين لغةً: "القسم، والجمع: أيمن وأيمان، يُقال: سمي بذلك؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئٍ منهم يمينه على يمين صاحبه... واليمين مخالفة للشمال" (الجوهري، ٢٢٢١، ١٩٩٠).

وأصل صيغة اليمين مأخوذة من القوة، نحو قوله تعالى: (لأخذنا منه باليمين) (سورة الحاقة، ٤٥)، وتفسير ذلك على قول الطبري: "لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة... (الطبري، ٣٦٥). واستعمل الحلف باليمين؛ استعارة من قوة تحالف اليمين، إذا ضرب كل امرئٍ منهم يمينه على يمين صاحبه تحالفاً (قلعة جي، ٧٩، ١٩٩٦)، وقال الراغب الأصفهاني: "واليمين في الحلف مستعار من اليد اعتباراً بما يفعله المعاهد والمُحالف وغيره، قال تعالى: (وأقسموا بالله جهداً أيمنهم) (سورة النور، ٥٣) (الأصفهاني، ٧٠٤، ٢٠٢١).

ورد عند بعض أهل اللغة ومن بينهم أبو هلال العسكري، وابن منظور: بأن القسم أبلغ من الحلف؛ لأنه يتضمّن معنى الآخر مع دفع الخصم، كقولك: حلفت بالله، أي: قطعت المخاصمة بالله، ويرد بمعنيين: الحلف، واليمين.

وأصل القسم من القسامة: وهم الجماعة الذين يقسمون على حقهم ويشهدون. وأصل الحلف من التحالف، والملازمة، والتعاهد واليمين الموثق للتعاهد، ويفيد معنى واحداً وهو: قطع المخاصمة فقط، قال ابن فارس: "الحاء واللام والفاء أصل واحد، وهو: الملازمة، يقال: حالف فلان فلاناً، إذا لازمه (زكريا، ٩٧، ١٩٧٩-٩٨).

واستعمل اليمين اسم للقسم على سبيل الاستعارة؛ لأنهم إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم، فكثير ذكر ذلك حتى صار القسم يميناً (العسكري، ٦٨) (ابن منظور، ٤٨٢) (زاهد، ٢٦٩).

وذهبت المصادر الأخرى إلى التأكيد بأن اليمين والقسم والإيلاء والحلف ألفاظ مترادفة (الدميري، ١٠، ٢٠٠٤) (الشرواني، ١٠)، و"الطلاق يمين أيضاً وحاصل المراد به أنه إنما قيد هنا بقوله: بما يأتي المراد به اسم الله وصفته؛ لأن الكلام في هذا الباب في اليمين التي يجب تكفيرها لا في مطلق اليمين حتى يرد، نحو: الطلاق" (الشرواني، ١٠).

وقد وظف الهيثمي هذه الألفاظ في الطلاق، بقوله: وتسمية الحلف بنحو: الطلاق يميناً... وتصريحهم بمرادفة الإيلاء لليمين مع تصريحهم بأن الإيلاء لا يختص بالحلف بالله، ومعنى ذلك: لا ينعقد إيلاء كمطلق اليمين إلا باسم الله الذي يختص به؛ لأن الإيلاء يمين، وكل يمين لا ينعقد إلا بذكر الله تبارك وتعالى، وأكد ذلك القرطبي بقوله: "فكل من حلف بالله أو بصفة من صفاته أو قال: أقسم بالله أو أشهد بالله، أو علي عهد الله وكفالتة وميثاقه وذمته فإنه يلزمه الإيلاء، فإن قال: أقسم أو أعزم ولم يذكر بالله، فقيل: لا يدخل عليه الإيلاء إلا أن يكون أراد بالله ونواه" (القرطبي، ٢٤، ٢٠٠٦).

الخاتمة وأهم النتائج:

- تناول هذا البحث ظاهرة الترادف عند ابن حجر الهيثمي، وناقش آراء اللغويين القدامى المؤيدين والمعارضين لهذه الظاهرة، ثم ذكرت أسباب وجود هذه الظاهرة في العربية، ثم عرضت الألفاظ المترادفة التي وردت في التُّحفة.
- إن لفظ (المدح) لا يرادف لفظ (الحمد)، كما أجمع أصحاب المعجمات، ومن صنّف في الفروق اللغوية، ويبدو أن ابن حجر وإن صرح بترادف هاتين اللفظتين إلا أنه لم يكن مقتنعاً بالقول بترادفهما، والقرينة في ذلك هو قوله: (قيل): "ويستفاد من هذه الصيغة ضعف مدلولها سواء كان بحثاً أو جواباً، فهي صيغة تمييز، وتقال لما فيه اختلاف وضعف ما قالوه.
- استعمل الفقهاء ومن بينهم ابن حجر الهيثمي: لفظتي اللعب والهزل في باب الطلاق، وقالوا: إن بينهما ترادف، لما فيهما من خلو المنفعة والجدوى، ولتضمنه معنى الغفلة، نحو قوله تعالى: (وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ).
- إن لفظة المهر المرادفة للصدّاق فيها زيادة دلالية مجازية تعطي معنى جديداً مقابلاً للدلالة الحقيقية، نحو ما قاله الزمخشري: "ومن المجاز: رجلٌ ذو مَصْدَقٍ في القتال،

وفرسٌ ذو مُصدّقٍ في الجري... دلائله، جمع مصداق، ونجم صادق: لم يُخلف... فلانة امرأةً صدّقةً".

- وردت لفظة (اليمين) مرادفة للحلف والإيلاء عند ابن حجر، فوظف الهميمي هذه الألفاظ في الطلاق، بقوله: وتسمية الحلف بنحو: الطلاق يميناً... وتصريحهم بمرادفة الإيلاء لليمين مع تصريحهم بأن الإيلاء لا يختص بالحلف بالله، ومعنى ذلك: لا ينعقد إيلاء كمطلق اليمين إلا باسم الله الذي يختص به؛ لأن الإيلاء يمين، وكل يمين لا ينعقد إلا بذكر الله تبارك وتعالى، وأكّد ذلك القرطبي بقوله: "فكل من حلف بالله أو بصفة من صفاته أو قال: أقسم بالله أو أشهد بالله، أو عليّ عهد الله وكفالتة وميثاقه وذمته فإنه يلزمه الإيلاء، فإن قال: أقسم أو أعزم ولم يذكر بالله، فقيل: لا يدخل عليه الإيلاء إلا أن يكون أراد بالله ونواه".

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

- الرّمخسري، جلاله (١٩٧٩ أساس البلاغة. (د.ط). دار صادر. بيروت- لبنان.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفيقي المصري. (د.ت). لسان العرب. دار صادر. بيروت- لبنان.
- الأصفهاني، الزاغب. (٢٠٢١). مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: د. صفوان داوودي. ط٣. دار القلم. دمشق- سوريا.
- الأعشى، ميمون بن قيس. (د.ت). ديوان الأعشى الكبير. تحقيق وشرح: الدكتور محمد حسين. مكتبة الآداب بالجماميز.
- أنيس، إبراهيم. (١٩٩٢). في اللهجات العربية. ط٨. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة- مصر.
- ابن الأثير، مجدّ الدين المبارك بن محمد. (١٩٩١). المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأدواء والذوات. تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي. ط١. دار الجيل.
- بن جنّي، أبو الفتح عثمان. (٢٠١٣). الخصائص. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط٤. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.
- بن زكريّا، أبو الحسين أحمد بن فارس. (١٩٧٩). مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. المجمع العلمي العربي الإسلامي.
- الجرجاني، السيّد الشريف أبي الحسن عليّ بن محمد الحنفي. (٢٠١٣). التّعريفات. وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود. ط٤. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٩٠). تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط١. دار العلم للملايين.
- الّدميري، كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى. (٢٠٠٤). النجم الوهاج في شرح المنهاج. ط١. دار المنهاج، بيروت- لبنان.
- زاهد، عبد الأمير كاظم (٢٠١١). قضايا لغوية قرآنية. ط٢. العارف للمطبوعات. بيروت- لبنان.

- الرّمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي . (٢٠٠٩) . تفسير الكشّاف عن حقائق التّزليل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل . اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا . ط٣ . دار المعرفة . بيروت- لبنان .
- الرّمخشريّ، جارالله محمود بن عمر . (د.ت) . الفائق في غريب الحديث والأثر . تحقيق: عليّ محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم وعسى البايي الحلبيّ وشركاه
- الزّياديّ، حاكم مالك لعيبي . (١٩٨٠م) . التّرادف في اللّغة . دار الحرّيّة للطّباعة . بغداد- العراق .
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر . (٢٠٠٤) . الكتاب . ط٤ . مكتبة الخانجي . القاهرة- مصر .
- السيّوطيّ، جلال الدّين (٢٠٢٠) . التّاج في إعراب مشكل المنهاج . تحقيق: الدّكتور رجب أبو سالم . الطّبعة الأولى . دار الضّياء . الكويت .
- السيّوطيّ، عبد الرّحمن جلال الدّين . (١٩٨٦) . المزهّر في علوم اللّغة وأنواعها . شرحه وضبطه وصحّحه: محمّد أحمد جاد المولى بك ومحمّد أبو الفضل إبراهيم وعليّ محمّد البجاوي . منشورات المكتبة العصريّة . صيدا- بيروت .
- الشّافعيّ، أبو القاسم عبد الكريم بن محمّد بن عبد الكريم الرّافعيّ القزويني . (٢٠١٣) . المحرّر في فقه الإمام الشّافعيّ . تحقيق: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصريّ . ط١ . دار السّلام . القاهرة- مصر .
- الشّافعيّ، شهاب الدّين أحمد بن محمّد بن عليّ بن حجر الهيتميّ . (٢٠٢٢) . تحفة المحتاج بشرح المنهاج . غنيّ به: أنور بن أبي بكر الشّخيّ الدّاغستانيّ . ط٢ . دار الضّياء . الكويت .
- الشّربينيّ، شمس الدّين محمّد بن الخطيب . (١٩٩٧) . مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج . اعتنى به: محمّد خليل عيتاني . ط١ . دار المعرفة . بيروت- لبنان .
- الشّروانيّ، عبد الحميد . العبّاديّ، أحمد بن القاسم . (د.ت) . حواشي تحفة المحتاج بشرح المنهاج . المكتبة التّجاريّة الكبرى . شارع محمّد عليّ- مصر .
- الصّعيديّ، عبد الفتّاح و موسى، حسين يوسف (١٩٢٩) . الإفصاح في فقه اللّغة . ط١ . دار الكتب المصريّة . القاهرة- مصر .
- الطبريّ (١٩٩٤) . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . هدّبه وحقّقه وعلّق عليه: الدّكتور بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرشانيّ . ط١ . مؤسّسة الرّسالة . بيروت- لبنان .
- عبد المنعم، محمود عبد الرّحمن . (د.ت) . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة . دار الفضيلة .
- العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . (٢٠١٨م) . الفروق اللّغويّة . علّق عليه ووضع حواشيه: محمّد باسل عيون السّود . ط٥ . دار الكتب العلميّة . بيروت- لبنان .
- فاضل . عليّ حكمت (٢٠٢٠) . البحث الدّلاليّ في حاشية السيّد الشّريف الجرجانيّ على الكشّاف . ط١ . دار المناهج . عمّان- الأردن .
- الفراهيديّ، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد . (د.ت) . كتاب العين . تحقيق: الدّكتور مهدي المخزومي والدّكتور إبراهيم السّامرائيّ . دار ومكتبة الهلال .
- الفراهيديّ، أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد . (د.ت) . كتاب العين . تحقيق: الدّكتور مهدي المخزومي . والدّكتور إبراهيم السّامرائيّ . دار ومكتبة الهلال .

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١. مؤسسة الرسالة. بيروت- لبنان.
- قلعة جي، محمد رواس. (١٩٩٦). معجم لغة الفقهاء. ضبطه لغويًا ووضع مصطلحاته الإنكليزية والفرنسية: أ.د. حامد صادق قنبيي. أ. قطب مصطفى سانو. ط١. دار التفائس. بيروت- لبنان.
- الكاف، سقاف بن علي. (١٩٩٧). معجم في مصطلحات فقه الشافعية. ط١.
- الكرياسي، محمد جعفر الشيخ إبراهيم. (٢٠٠٩). الرسالة التامة في فروع اللغة العامة. ط١. دار الشؤون الثقافية. بغداد- العراق.
- اللغوي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (١٩٩٣). الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق: الدكتور عمر فاروق الطباع. ط١. مكتبة المعارف. بيروت- لبنان.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف. تهذيب الأسماء واللغات. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- النووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف. (٢٠٠٥). منهاج الطالبين وعمدة المفتين. عني به: محمد محمد طاهر شعبان. ط١. دار المنهاج. بيروت- لبنان.